نوميكا تسيون، «صوت آخر» Kol Akher، «الشاشة المنقسمة للروح في سديروت»، 24.7.2025

المقدمة

اليوم نستضيف نعومي، نوميكا تسيون، التي سعت لسنوات إلى عدم تطبيع الحروب المتكررة على غزة، ضمن أشياء أخرى كعضوة في «كول آخر» («صوت آخر») من سديروت ومجتمعات غلاف غزة. نوميكا، شكرًا لانضمامك إلينا. ستتحدث نوميكا لثماني دقائق، وبعد ذلك سنترك وقتًا لمناقشة قصيرة. من يرغب في طرح سؤال مدعو لكتابته في الدردشة، وسأقرأه بصوت عالٍ لاحقًا. شكرًا نوميكا — الكلمة لك.

المحاضرة

شكرًا للمنظمين على دعوتي. أريد أن أوضح: أنا لست باحثة في غزة، أنا جارة لغزة. كنت ناشطة سياسية طوال حياتي. أتكلم معكم من ذلك المكان، من أعماق قلب نازف. كتبت أيضًا ملاحظاتي، لأتناسب مع ضيق الوقت، ولأن هذه المواضيع تُغرقني.
أن تعيش في سديروت اليوم يعني أن تعيش مع شاشة منقسمة للروح. في جانب، هناك الرغبة العميقة في التمسك بالحياة العادية: هناك روتين يومي، عمل، مهام يجب إنجازها، أفراح صغيرة من حياة عادية. في النهاية، نحن اخترنا العيش هنا. وفي الجانب الآخر — شريط الصوت المشلّ للحرب، الذي لا يترك مكانًا للهروب. إنه حاضر باستمرار، كجرح ملتهب. تُقصف غزة 24/7، وتهتز بيوت سديروت ومنطقة الحدود من قوة القصف — في أيام الأسبوع، والسبتات، والأعياد على حد سواء. «بُنى الإرهاب» التي تُدمَّر ليلًا تكشف عن نفسها فجرًا في صور رُضَّع بأطراف مقطوعة، أو أطفال يُسحبون ساعات من تحت أنقاض بيوتهم، فقط ليبقوا دون حياة في نفس اليوم. كيف نعيش مع هذا؟ كيف نُوفّق بين هذه الشاشة المنقسمة للروح — الصراع الداخلي العنيد بين ألّا نفقد شظايا إنسانيتنا وبين إغراء قسوة القلب، بين الواجب الأخلاقي أن نرى ونسمع، وبين النداء الجذاب أن نحجب كل ذلك؟
في 2008، بعد سبع سنوات ملتهبة من صواريخ القسام، أسسنا مجموعة من سديروت وغلاف غزة «كول آخر» («صوت آخر»). كان نداءً سياسيًا لحل الصراع الدموي فقط بوسائل لا عنفية واتفاقيات طويلة الأمد، وفي الوقت نفسه مد يد وفتح قناة إنسانية للحوار مع الناس خلف السياج. الصداقات والروابط العميقة التي بنيناها على مر السنين مع سكان غزة صمدت أمام اختبارات الحروب والتصعيدات. لا أحد يستطيع أن يُرعبنا بادعاء «لا يوجد أبرياء في غزة». نحن نعرف عشرات، إن لم يكن مئات، من الغزاويين الذين يتوقون للسلام، الذين عبّروا عن تعاطفهم معنا في كل تصعيد، بعضهم دفع أثمانًا باهظة لاختيارهم البقاء على تواصل معنا.
في حرب غزة 2014، وقفنا في مركز سديروت نحمل لافتات تدعو إلى إنهاء الحرب وبدء الحوار. في اللحظة الأخيرة، اضطرت الشرطة لإنقاذنا من غوغاء غاضبين حاولوا إعدامنا. في 2015 و2016، وقفنا لعامين عند مفترق ياد مردخاي، ننبه إلى غزة التي تختنق تحت الحصار — بثلاث ساعات فقط من الكهرباء يوميًا ونقص في مياه الشرب. الكلمات لا يمكن أن تصف العنف المستمر الذي واجهناه هناك. في 2021، كنت من بين منظمي مؤتمر سلام كبير في سديروت، مشروع عملنا عليه لأشهر. تمت دعوة طبيب أطفال عربي لوصف الوضع المأساوي لأطفال غزة. انتشرت الإشاعة على الفور. طُردنا من المدينة بعار.
كل المحاولات لرفع صوت آخر، للمطالبة بحل سياسي، فشلت — وأدت في النهاية إلى اللقاء الوحشي مع الشر الجامح في 7 أكتوبر. لكن ذلك الشر لم يخرج من البحر، ولم يُشفَّر في حمض نووي لشعب كامل. إنه نتاج اليأس، التهجير، القمع الوحشي، الحصار والإغلاقات المستمرة، غياب أي مخرج، وغياب حتى بصيص أمل لحياة مختلفة. نعم، هناك سياق تاريخي. ليس لدينا امتياز محوه من أجل رواية أحادية للضحية. ومع ذلك فإن المجتمع الإسرائيلي — الذي اختار بوعي أن يجعل الحرب أسلوب حياة والاحتلال طبيعة ثانية — عالق الآن في ذُهان من القتل والتدمير، بلا حدود، يصل إلى أبعاد ديستوبية. سيستغرق عقودًا لمعالجة، وللتحقيق، ولإدراك حجم الفظائع التي أُلحقت — وتُلحق يوميًا — بغزة. وفي العام الماضي، كانت إسرائيل تصدّر هذا «التسريع الغزّاوي» إلى الضفة الغربية أيضًا.
كما كتبت الشاعرة يونا فالاخ: «جوناثان، جوناثان — مزيد من الدم، فقط قليلًا من الدم مع العسل». كل العناصر المميزة لأظلم فصول التاريخ أمامنا: القمع، الإنكار، العمى، صمت الأغلبية، اللامبالاة، الإنكار، الخدر — أو، بالعكس، الغطرسة الخبيثة والنشوة بالقوة. «يهود يحرقون القرى بسعادة» كان الشعار الفعلي لمجموعة واتساب من متطرفين يهود، مبيَّضة تحت اسم «شبيبة التلال». يومًا ما، كل هذا سيتطلب حسابًا. في هذه الأثناء، 24/7 من القصف غير المتخيَّل على غزة تهز بيوت سديروت والحدود، تخلخل العقول وتعمّق القلق على مصير الرهائن المتروكين، وعلى الجنود الذين يضحّون بحياتهم في حرب عبثية، وعلى السؤال اليومي المرعب: ما هو نصيب اليوم من الرُضَّع، الأطفال، والمدنيين الغزاويين الأبرياء الذين سيُقتلون؟
أحاول أن أفهم هذا الاضطراب ثنائي القطب في رأسي. كيف تتعايش تعابير سامية من التضامن، الصمود، الحساسية، السخاء، والتعبئة البطولية — الظاهرة منذ 7 أكتوبر — مع اللامبالاة المطلقة تجاه الناس خلف السياج مباشرة؟ ماذا يحدث لمجتمع مدمن على حرب انتقامية غير مقيّدة، لا يُمكن إشباعها؟ ماذا يحدث لمجتمع غير قادر على رفع بصره والتعرف على معاناة الآخر؟ ماذا يحدث لمجتمع فقد منذ زمن قدرته على التعاطف؟ كم هو شاذ مجتمع تُثير فيه كلمة «سلام» خوفًا أكبر من احتمال حرب أخرى — حيث يُوسَم الحنين إلى السلام فورًا بالخيانة؟ كم هو شاذ مجتمع في حداد عميق يُؤطِّر سؤاله المركزي ليس بكيفية منع الحرب القادمة، بل بكيفية تجنيد المزيد من الأيدي العاملة، المزيد من «اللحم للمدافع» من أجلها؟ وكيف تتحول فكرة عبثية، لا تُصدَّق — مثل نكبة ثانية لمليوني شخص — في لحظة، إلى اقتراح شرعي و«طبيعي»، «خطة استراتيجية» مدعومة باستطلاعات الرأي؟ أين أولئك الذين سيصرخون: «أوقفوا هذا الخطاب المريض، الآن!»؟ ثم الخطة السريالية لما يُسمّى «مدينة إنسانية». هذا يحرق

الروح حرفيًا. لأن علينا أن نختار أي نوع من المجتمعات نريد أن نكون: مجتمع يكتب «كفاحي» — استعارة لـ فيسوافا شيمبورسكا — أو مجتمع يكتب «ويني الدبدوب». مجتمع يجرد الآخرين من إنسانيتهم سيجرّد نفسه في النهاية من إنسانيته. ثم — ماذا سيبقى منا؟

«اللامتخيَّل موجود ببساطة»، كتب الشاعر إسرائيل إليراز. نعم، اللامتخيَّل موجود ببساطة. ولذلك، ما يبقى لكل من ما زال يؤمن أن حياة أخرى ممكنة هنا هو أن يناضل، أن يقاوم! أن يوقف تفاهة الشر التي أحاطت بنا لسنوات طويلة، أن يمنع «درسدن غزّاوي» آخر، أن يوقف هذه الحرب الملعونة، أن يعيد الرهائن إلى بيوتهم، أن يُنهي الاحتلال، وأن يبدأ عمل الشفاء وإعادة البناء — لنا ولجيراننا. لا شيء سيحمينا — لا في سديروت، ولا في أي مكان آخر على هذه الأرض — سوى الالتزام باتفاقيات طويلة الأمد، ورسم أفق سياسي، مدعوم ومضمون من تحالف دولي من الدول.